

مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي-الوسيط- بين النظر و الممارسة التطبيقية

- دراسة تاريخية لإسهامات ثلة من الباحثين والمعاصرين -

**The project to rewrite Islamic history - the mediator - between theory and applied practice
-A historical study of the contributions of a group of researchers and contemporaries-**

د/محمد عيساوي*، قسم التاريخ والآثار، جامعة زيان عاشور الجلفة.

البريد الإلكتروني المهني :

mohamed.aissaoui@mail.univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09/12 تاريخ القبول: 2021/10/28 تاريخ النشر : 2021/12/31

ملخص:

يعالج المقال قضية محورية في التاريخ الإسلامي، ألا وهي إسهامات الباحثين المعاصرين في إرساء الضوابط المنهجية والمعايير النقدية في إعادة صياغة الكتابة التاريخية لوقائع التاريخ الإسلامي ومنها تاريخ صدر الإسلام، والخلافة الراشدة، وقد أسفر البحث عن جملة من النتائج الجوهرية أهمها ضرورة استخدام أسس نقدية رصينة مقتبسة من تراثنا الإسلامي تمكننا من تمحيص الرواية التاريخية، وعلى رأسها كتب مصطلح الحديث، كما كشف لنا البحث قصور المناهج الاستشرافية عن البحث التاريخي الجاد لتاريخنا الإسلامي، واتضح الجهود العلمية الرفيعة لثلة من الباحثين المعاصرين في مجال إعادة تدوين السيرة النبوية والخلافة الراشدة من ناحيتي المنهج والمضمون.

الكلمات مفتاحية: التاريخ الإسلامي، إعادة التدوين، المنهج، التمهيد، مشروع.

تصنيف JEL : XN1، XN2.

Abstract:

The article deals with a central issue in Islamic history, namely, the contributions of contemporary researchers in establishing methodological controls and critical criteria in reformulating the historical writing of the facts of the early days of Islam and the Rightly Guided Caliphate. The research resulted in a number of substantial results, the most important of which is the need to use solid critical foundations extracted from our Islamic heritage that enables us From examining the historical novel, on top of which he wrote the term hadith, the research also revealed to us the shortcomings of the Orientalist curricula in the serious historical research of our Islamic history, and the high scientific efforts of a group of contemporary researchers in the field of re-writing the Prophet's biography and the adult caliphate in terms of method and content.

Keywords: Islamic history; Rewriting; Methodology; Criticism; Project.**Jel Classification Codes:** XN1, XN2.

* د/ محمد عيساوي، قسم التاريخ والآثار، جامعة زيان عاشور الجلفة .

1. مقدمة:

أسهم الباحثون المسلمون المعاصرون في إثراء المكتبة التاريخية بسلسلة من الدراسات التاريخية النقدية، وتندرج في مجال الضوابط والمعايير النقدية التي يجب مراعاتها في البحث والتدوين التاريخي، ولم تقتصر جهودهم على هذا الجانب النظري فحسب، بل بادروا إلى تجسيد تلك الضوابط النظرية وقاموا بتطبيق المعايير النقدية على مراحل تاريخية مفصلة على غرار مرحلة السيرة النبوية الشريفة والخلافة الراشدة، وهذا ابتغاء مقصد وجيه، ومغزى نبيل، ألا وهو الإسهام في بلورة إعادة تدوين التاريخ الإسلامي.

وتأسيساً على ما سبق، يتحرى الباحث من خلال هذا المقال الإجابة عن إشكالية محورية فحواها: ما هي أبرز جهود إسهامات الباحثين والمؤرخين المعاصرين في إعادة صياغة التاريخ الإسلامي من ناحيتي المنهج والمضمون؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة جملة من الإشكالات الفرعية المتمثلة أساساً في جملة من التساؤلات وهي: ما هي أبرز إسهامات الباحثين المعاصرين في تععيد أصول مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي؟ وما هي أهم الأسس النظرية التي ينبغي مراعاتها في التدوين التاريخي؟ وما هي الجذور التاريخية لهذا المشروع؟ وما هي أبرز المقترحات التي تم تقديمها في هذا المنحى؟

ولمعالجة هذه الإشكالية الرئيسة، ومختلف الإشكالات الفرعية المنبثقة عنها، تم إنجاز خطة بحثية تتكون من مباحث متكاملة، وأولها يحدد ماهية مصطلح إعادة تدوين التاريخ الإسلامي، ويوضح الجذور التاريخية لنشأة هذا المشروع منذ المؤرخ ابن خلدون إلى غاية الفترة المعاصرة، ومبحث ثان يركز على دواعي وأهمية إعادة تدوين وصياغة التاريخ الإسلامي، أما المبحث الثالث فهو بمثابة حجر الزاوية في هذه الدراسة؛ لأنه يختص ببيان المعايير والأسس المقترحة في هذا المشروع العلمي التاريخي، وأهم الصعوبات والعراقيل التي يمكن أن تعترضه وسبل مواجهتها، أما المبحث الأخير فهو صفوة البحث، لأنه يسلط الضوء على انتقاء إنجازات نوعية قام بها ثلة من المؤرخين والباحثين المعاصرين في مجال إعادة تدوين وصياغة الروايات التاريخية التي تحتويها المصادر التاريخية ضمن فترات تاريخية مفصلة في تاريخ الإسلام، ألا وهي فترة السيرة النبوية والخلافة الراشدة. كما لا ننسى خاتمة البحث التي تحتوي على الاستنتاجات المتوصل إليها، وحوصلة للأفكار التي تضمنها البحث، وطائفة من الاقتراحات التي يمكن أن تثري البحث مستقبلاً. وتم تذييل البحث بقائمة للمراجع المعتمدة.

أما عن أهداف الدراسة حول مشروع إعادة التاريخ الإسلامي؛ لأن التاريخ يعد من أهم المؤثرات على الفكر والتربية وصياغة التوجهات البشرية في الاعتقاد والسياسة، وإثراء البحوث التاريخية المتعلقة بمنهج كتابة التاريخ الإسلامي الوسيط، وخاصة تلك التي تصبو إلى إعادة تدوينه وتمحيصه بما يتناسب و خصوصيته. وفيما يتعلق بمنهج البحث المتبع فيتمثل أساساً في المنهج التاريخي بمختلف آلياته التحليلية والوصفية .

2. ماهية إعادة تدوين التاريخ الإسلامي:

ينبغي على الباحث تحديد دلالات إعادة تدوين التاريخ الإسلامي في منظور الباحثين والمؤرخين المعاصرين، وهذا حتى تتمكن من استيعاب المباحث اللاحقة المرتبطة بهذا المشروع.

1.2 ماهية التاريخ من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

إن ماهية التأريخ لغة تعني: تعريف الوقت والتاريخ مثله، يقال أرخت وورخت، والأصمعي يفرق بين لهجتين، فبنو تميم يقولون ورخت الكتاب تورخاً، وقيس تقول أرخته تأريخاً، وهذا ما ذكره السخاوي (المتوفى سنة: 902 هـ/1497م) في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ. (السخاوي، 1986، ص 16-17)

ولعل المؤرخ ولي الدين عبد الرحمان بن خلدون (المتوفى سنة: 808 هـ/1332م) أول من عرف التأريخ تعريفاً شافياً وسبق بذلك علماء المسلمين وغير المسلمين، حيث قال وهو يعرف التأريخ: "هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأولى،

تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال...، وفي باطنه نظر، وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. (ابن خلدون، 2004، ص 92)

2.2. الدلالة الاصطلاحية لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي:

يمكن التوضيح بأن الدعوة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، أو إعادة عرضه وتحليله، لا تعني بالضرورة البدء من نقطة الصفر، أو الرفض المطلق للصيغ التاريخية والأنماط العامة التي قدمه بها مؤرخونا القدماء، ومحاولة قلب معطياتهم، وإسقاط رواياتهم التاريخية رأساً على عقب، ومن يخطر على تفكيره- من الباحثين- أمر من هذا القبيل، فهو ليس من العلم في شيء. وإنما المقصود مفهوم آخر تماماً؛ فهو منهج نقدي وسطي يتعامل مع روايات التاريخ الإسلامي، بروح علمية موضوعية مخلص، فيتقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول، ويقدر عطاء الرواد حق قدره في الجمع والتدوين، دون أن يصده ذلك عن متابعة آخر المعطيات المنهجية والموضوعية التي يطلع علينا بها العصر الحديث، وأشدّها موضوعية وصرامة. (خليل، 2005، ص 97).

وبالتالي فإن هذا الموقف الوسطي الموضوعي الذي يرفض الاستسلام للرواية التاريخية القديمة، وفي نفس الوقت يأبى إلغائها وإقصاءها المجاني من الحساب، يحمل رؤية موضوعية منصفة تستحضر البيئة التي تشكّلت في أحضانها وقائع التاريخ الإسلامي، وتعتمد في الوقت نفسه معطيات العلوم المساعدة كافة: إنسانية وصرفية وتطبيقية، من أجل كشف أشد إضاءة لهذه البيئة، وفهم أعمق لوقائعها، وتحليل واضح لحواثها. (خليل، 2005، ص 97).

وهناك من يعرف إعادة تدوين التاريخ الإسلامي بأنه تنقية الكتب التاريخية من الشوائب، والأخطاء، والروايات المكذوبة، ومن ثمّ إعادة الصياغة والتصحيح وفق المنظور الإسلامي، بهدف الكشف عن الحقائق التاريخية من جهة، والاستفادة من دراسة التاريخ في مجال التربية، والقُدوة الحسنة من جهة أخرى. (أحمزون، 2011، ص 09).

ويتضح لنا مما سبق أنّ الدلالة الاصطلاحية لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي تتركز حول نقطتين مهمتين أحدهما تسمين جهود المؤرخين المتقدمين في التدوين التاريخي، والأخرى تتمثل في إخضاع تلك الروايات للنقد والتمحيص.

2.3. الجذور التاريخية لمشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي:

تعود الجذور التاريخية لمشروع إعادة كتابة ونقد التاريخ الإسلامي في شكلها المنهجي المنظّم والمرتب إلى المؤرخ ابن خلدون (المتوفى سنة: 808هـ/1332م)؛ حيث ظهرت بوادر الدعوة الصريحة إلى أعمال النظر وتمحيص مصادر التاريخ الإسلامي من خلال كتابه الشهير بالمقدمة، ولعل أبرز الشواهد التاريخية -في هذا السياق- ما جاء في فصل مهم من مقدمته الشهيرة، والذي جاء بعنوان "فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها"، وقد استغرق ذلك -الفصل- أربعاً وعشرين صفحة، اشتملت على تحقيقات رصينة على جانب كبير من الأهمية، لما فيها من الأصالة في التفكير، والبراعة في التدليل. (ابن خلدون، 2004، ص 92-122)؛ (ذي نون، 2011، ص 83-106)

أما في الفترة المعاصرة، فقد أرخ المحقق المغربي المعاصر محمد أحمزون لنشأة مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وأهم رواده؛ وأشار بصفة عامة بأنه قد تعالت في العصر الحاضر دعوات واقتراحات صادرة عن جبهة من الكتّاب والمفكرين المسلمين تنادي بضرورة إعادة دراسة التاريخ الإسلامي، ثم ما لبث الأمر أن طُرح على بساط البحث من قِبل هيئات علمية ورسمية. وأول من دعا إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي المحقق مُمب الدين الخطيب في مؤلفاته، وشخصيات أخرى، ثم طُرح الموضوع على مجلس اتحاد الجامعة العربية (عام 1394هـ/1974م)، فقرّر تشكيل لجنة تحضيرية لدراسة إعادة تاريخ الإسلام، وإنشاء معهد للتاريخ الإسلامي، ودائرة معارف تاريخية عربية، ثم عقدت في جامعة الكويت حلقة عمل حول مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، كما ناقش الموضوع المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، فاتخذ في دورته الثالثة والعشرين المنعقدة عام (1401هـ/1981م) قراراً بتشكيل لجنة في نطاق الأمانة العامة

للرابطة من خمسة أعضاء، لتقوم بوضع خطة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، على أن تطرح الأمانة العامة للرابطة فقرات الخطة في مسابقة عامة بين علماء مسلمين على نخط مسابقة السيرة النبوية المنعقدة في قطر وبشرطها. (أحزون، 2011، ص14)

وعند البحث والتدقيق؛ نجد فعلاً أن المحقق السوري محب الدين الخطيب (المتوفى سنة 1389هـ/1969م) قد نصَّ على ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وضرورة تمحيص الروايات التاريخية، خصوصاً تلك المتعلقة بمرحلة هامة ومفصلية من عصر الخلافة الراشدة، ألا وهي وقائع الفتنة الكبرى، وليس في مؤلفاته فقط، بل حتى في تعليقاته المفيدة، وتحقيقاته الرصينة على المصادر التراثية التاريخية، ومن بينها كتاب "العواصم من القواصم" للقاضي أبي بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ (المتوفى سنة 543هـ). (ابن العربي، 2011، ص47-48)

ومن الباحثين المعاصرين الذين اهتموا كذلك بمشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي الباحث المحقق أكرم ضياء العمري العراقي، والعلامة صادق إبراهيم عرجون المصري من خلال مؤلفاته المتعددة. (عرجون، 1981، ص07-08) كما أسهم الأستاذ عماد الدين خليل العراقي في هذا المشروع العلمي، وتمثل ذلك في التنظير له من جميع الجوانب. (خليل، 2005، ص10)، ولا ننسى الكاتب عمر فروخ اللبناني الذي نادى بتحديد التاريخ في تعليقه وتدوينه. (فروخ، 1980، ص10-12)، والمؤرخ شوقي أبو خليل الذي أدلى بآرائه واقتراحاته حول هذا المشروع في نقاط موجزة مركزة. (أبو خليل، 1997، ص08).

يتبين لنا من خلال الجذور التاريخية لمشروع إعادة التاريخ الإسلامي الوسيط، و مختلف الدعوات والاقتراحات التي حث عليها المحققون المبرزون المعاصرون إلى هذا المشروع، مدى أهمية وقيمة إعادة تدوين مختلف الفترات التاريخية التي مر بها التاريخ الإسلامي بدءاً بمرحلة السيرة النبوية و مروراً بفترة الخلافة الراشدة وانتهاءً بمرحلة الدولة الأموية والعباسية.

3. دواعي مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي وأهميته:

تقف عدة عوامل وراء دعوة كثير من المؤرخين المتقدمين، وثلة من الباحثين المعاصرين إلى مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي، فما هي أهم الدواعي والأسباب التي أدت إلى المناداة بهذا المشروع العلمي؟

1.3 دواعي مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي:

رصد المؤرخ ابن خلدون (المتوفى سنة: 808هـ/1332م) عدة أسباب وجيهة تؤدي بالباحث إلى ضرورة إعادة النظر في مصادر التاريخ الإسلامي؛ ومن بينها التشيعات للآراء والمذاهب، والثقة بالناقلين، والدُّهول عن المقاصد، وتَوَهُّم الصدق، والجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع، وتقربُ الناس في الأكثر لأصحابِ التَّجَلُّ والمُراتبِ بالثناء والمدح، وتحسين الأحوال، وإشاعة الذكر بذلك، فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحبِّ الثناء، والناس متطلِّعون إلى الدُّنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليس في الأكثر براغبين في الفضائل، ولا منافسين في أهلها، ومن الأسباب المقتضية له أيضاً-وهي سابقة على كل ما تقدّم- الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإن كل حادث من الحوادث لا بد له من طبيعة تخصُّه في ذاته، وفيما يعرض له من أحواله، فإن كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود، ومقتضياتها أعانته ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب؛ وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه. (ابن خلدون، 2004، ص125-126)

أما في الفترة المعاصرة؛ فقد اضطلع الأستاذ عماد الدين خليل ببيان أهم الدواعي والأسباب المؤدية إلى هذا المشروع البحثي القيم، ويمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

- غياب الهدف، وضعف الرؤية للكثير من مؤلفاتنا التاريخية القديمة والحديثة.. أي على مستوى المصادر والمراجع على حدٍّ سواء، يقابله في ذلك فوضى، وارتجال، وتحبُّط، كانت تعاني منها- ولا تزال - الكثير من هذه المؤلفات والمصنفات. (خليل، 2005، ص10)

- غياب الحس النقدي، أو قلة حضوره بشكل فعلي مؤكد، في أغلب الموارد التاريخية المتقدمة، على خلاف ما كان يحدث في ساحة المعارف الأخرى وبخاصة الحديث والمنطق والفلسفة... إلخ يقابل ذلك استسلام عجيب وصل ببعض المؤرخين الكبار أنفسهم حدّ تقبل الكذب، والخرافات، والأضاليل، والأوهام. (خليل، 2005، ص10) وهذا الملمح يؤكد بشكل صريح المؤرخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة 310هـ/923م) في مقدمة كتابه تاريخ الرسل والملوك: "...فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أدّينا إلينا." (الطبري، 1967، ج1، ص08)
- غلبة النزعة التجميعية التي دفعت بعض المؤرخين القدماء، وعددا من المؤرخين المحدثين إلى تحقيق نوع من خاصية التوسع الكمي، الذي يقبل من أجل تحقيق تضخمه المنشود، كل خبر أو رواية... ويحيى ذلك على حساب نوعية الانجاز التاريخي ومنهجيته، وقدرته على التركيز والاختزال. (خليل، 2005، ص11) وهذا المظهر يمكن ملاحظته بالنسبة لكثير من المصادر التاريخية المتعلقة بالتاريخ الإسلامي الوسيط ومنها على سبيل المثال تاريخ الرسل والملوك للمؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة 310هـ/923م).
- فقدان الأسلوب التركيبي؛ الذي يعرف كيف يجمع الوقائع التاريخية ذات النسق الواحد والمسار المتوحد، في نسيج تركيبي يمكن المؤرخ من إضاءة ملامحه وتعميق خطوطها وقسماتها، ومنحها المعنى والمغزى المستمد من خامة النسيج نفسه... بدلا من التداخل المهبوش بين الوقائع، والتقاطع بين أنماطها المتباينة، حيث يصعب على المرء أن يتبين الخطوط المميزة من التجارب التاريخية. (خليل، 2005، ص11)
- تعرض المعطيات التاريخية لسيل لا يرحم من التأثيرات الذاتية على حساب الموضوع، أو من خلال الموضوع الذي اتخذ مركبا لعبور الأهواء والظنون والمصالح والتحيزات؛ وهو الذي أدى إلى تغيير مكونات الواقعة التاريخية من جهة، وأضاف إليها من جهة أخرى الكثير مما لم يكن في صلب تكوينها... فكان ذلك التزوير والتزييف الذي غطى على مجرى الرواية التاريخية في كثير من مساحاته. (خليل، 2005، ص11)
- غياب المؤسسات العلمية التي تأخذ على عاتقها مهمة تعضيد التأليف التاريخي وتوجيهه، وتشجيعه بوضعه في جدول أولوية الأولويات، على خلاف ما كان يحدث في بعض حقول المعارف الإنسانية الأخرى، وبخاصة الفلسفة والجغرافيا. (خليل، 2005، ص11)
- غياب الرؤية الإسلامية الأصيلة لدى فئة كبيرة من المؤرخين المعاصرين، فلم يكونوا في حقيقة الأمر سوى امتدادا للمدرسة الاستشراقية الغربية. (مطبقاني، 2018، ص 266-273)، ولم يفعلوا سوى أن أضافوا إلى الكسور التي أحدثتها في التاريخ الإسلامي كسورا... والرؤية الإسلامية هي المفتاح الذي لا بد منه لدخول ساحة التاريخ الإسلامي، وبدونه لن يتحقق دخول مشروع. (خليل، 2005، ص11)

ومن المسوغات المهمة أيضا-التي يمكن إثراء البحث بها- في إطار إعادة كتابة التاريخ الإسلامي وتحديد هوية التنبيه و التنويه على ما حسن من الحياة الماضية والحث على الاحتفاظ به، والتنبيه على ما ساء منها، والحض على اجتنابه. (خليل، 2005، ص12)

3. أهمية مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي :

يكتسي مشروع إعادة صياغة التاريخ الإسلامي أهمية بالغة في منهج البحث التاريخي؛ لأن مسألة اعتماد منهج دقيق، أو برنامج مرسوم يجب أن تأخذ مكانة متقدمة في سلم الأولويات، ليس فقط بالنسبة للنشاط التاريخي، ولكن بالنسبة للفكر الإسلامي عموما من أجل أن يمضي إلى أهدافه بأكبر قدر من التركيز، والاقتصاد في الجهد، وتجاوز التكرار، وتغطية المواضيع الملحة وفق تسلسلها في الأهمية، منهج أو برنامج عمل، واضح الأبعاد، محدد المفردات، بين الملامح، مثبت الأهداف، من أجل حماية أنشطتنا الثقافية كافة من الارتجال والفوضى، وربما التناقض والارتطام. (خليل، 2005، ص07)

وكذلك لأهمية عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين؛ حيث يقوى تأثير العقيدة في دوافع سلوك المسلمين ومواقفهم من ناحية، ومكانة تاريخ صدر الإسلام الذي يمثل التطبيق الصحيح لتعاليم الإسلام الكاملة الشاملة من ناحية أخرى، فهو بهذا الاعتبار الصورة النموذجية، والمثال الذي يجب على مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة التي تسعى للوصول إليه.(أحزون، 2011، ص 09).

ولا ننسى بأن المسلمين اليوم أشد ما يكونون في حاجة إلى معرفة فضائل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأثر تربية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم، وما كانوا عليه من علو الهمة التي أضحوها بها الجيل الفذ في تاريخ البشر، وفي ذلك تنبيه لهم ليحسنوا القدوة، ويكونوا خير أمة أخرجت للناس، حتى يتمكنوا من إنقاذ البشرية من دركات الحيرة والتيه والشقاء إلى درجات النعيم، وخيري الدنيا والآخرة. (أحزون، 2011، ص 10)

وتجدر الإشارة بأن تاريخ الأمم الأخرى كُتب بأقلام أبنائها، وإن أسهم فيه غيرهم، والأصل- أن نحمل نحن المسلمين- مسؤولية كتابة تاريخنا بأيدينا، وأن نعرف بحضارتنا ومبادئنا وقيمنا وفق تصورنا لها، حتى لا تكون دراستنا التاريخية صدى وانعكاسا لآراء وأفكار غيرنا، وخاصة الرؤى الاستشراقية المحففة. (أحزون، 2011، ص 10)

4. المعايير المقترحة لمشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي :

توجد جملة من المعايير المهمة التي اقترحها الباحثون المعاصرون من أجل إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، فما هي هذه المعايير ؟ وهل هناك خصوصية لكتابة التاريخ الإسلامي ؟

1.4. إعادة النظر في تقسيم العصور التاريخية :

إن أول أمر يجب الأخذ به هو إعادة النظر في التقسيم المتداول للعصور التاريخية بما يتناسب وخصوصية التاريخ والحضارة العربية الإسلامية بدلا من التقسيم الغربي؛ فقد درج المؤرخون الغربيون(الأوروبيون) على تقسيم العصور التاريخية إلى ثلاثة أقسام؛ أولها:العصور القديمة وتبدأ منذ اختراع الكتابة (3200 ق.م) وحتى سقوط روما 476 م على أيدي البرابرة، أما العصور الوسطى فتبدأ من سقوط روما وتنتهي بسقوط القسطنطينية سنة 1453م بيد السلطان محمد الثاني(الفاتح) سابع سلاطين الدولة العثمانية، والعصور الحديثة:وتبدأ من سنة 1453م بسقوط القسطنطينية،وهي مستمرة حتى سقوط الباستيل في 14 تموز سنة 1789 م، حيث يبدأ التاريخ المعاصر.

(أبو خليل، 1997، ص 08)

ويؤكد المؤرخ شوقي أبو خليل أن تقسيم هذه العصور التاريخية "تقسима جديدا" بدلا وبناء يختلف جذريا عن التقسيم الغربي المتداول، يعتبر "ضرورة علمية"، وذلك لكي ينطبق على "تاريخ الحضارة بشكل منطقي سليم"، وليرتبط بتاريخ الإسلام على وجه الخصوص، ولم يكتف بهذا فحسب بل بادر إلى إعطاء التقسيم الجديد البديل المقترح وهو على النحو التالي:

وتنتهي العصور القديمة (الجاهلية) بظهور الإسلام، والهجرة" هي الحدث البارز في تاريخ الإسلام ومسيرة انتصاراته، بل في تاريخ البشرية جمعاء، والتي وافقت 20 تموز يوليو 622 م. (أبو خليل، 1997، ص 08)، وتبدأ العصور الوسطى المنيرة حضاريا بالهجرة؛ لأنها أبرز من سقوط روما في أيدي البرابرة سنة 476م، وأشدّ أثرا في الحضارة الإنسانية. (أبو خليل، 1997، ص 09)

وقد قام المؤرخ شوقي أبو خليل بإعطاء المسوغات التي دفعته إلى اتخاذ "الهجرة" بداية للعصر الوسيط فعقد مقارنة بين سقوط روما والهجرة في الإسلام، ومن خلال ذلك أعطى جملة من الشواهد التاريخية التي تؤكد وجهة نظره، حيث ذكر أن سقوط روما واقعة محلية، أو أوروبية على أكثر تقدير، بينما ظهور الإسلام وانتشاره كان ذا نتائج حضارية عامة عميقة الأثر في آسيا وإفريقيا وأوروبا معا، أثر وما زال يؤثر في العالم كله. (أبو خليل، 1997، ص 09)

كما أن سقوط روما يعتبر قضاء على حضارة شائخة كانت في طريقها إلى الزوال، ولقد كان بالإمكان أن تسقط بأي حدث آخر، والدليل على ذلك أن ضعف الإمبراطورية الرومانية بدأ منذ أواسط القرن الأول للميلاد، فسقوط روما كان متوقعا، ولم يكن دخول الجرمان البرابرة إليها هو السبب الوحيد في سقوطها، ولكن ضعفها المتوالي في أثناء أربعة قرون متوالية كاملة هو الذي أدى إلى قيام الجرمان بدخولها، وبعد سقوط روما غاصت أوروبا في ظلام دامس قرونا كثيرة، ثم أخذت تسترد أنفاسها بما عرفته من علوم الحضارة العربية الإسلامية. (أبو خليل، 1997، ص 09)

أما الهجرة، وظهور الإسلام دين التوحيد الخالص، وانتصاره، انتشاره، والذي جاء في معجزاته الخالدة القرآن الكريم؛ فهو حضارة إنسانية جديدة، لم يترك بفتوحاته آسيا في وثنيته، ولا أوروبا في أساطيرها، ولا إفريقيا في غفوتها وعزلتها، مثلما فعل سقوط روما بأوروبا، بل نقل القارات الثلاث إلى حضارات إنسانية فتية، قوية متماسكة في العقيدة والسياسة والثقافة. وبالنسبة للعصور الحديثة فإنها تبدأ بفتح القسطنطينية سنة 1453هـ. (أبو خليل، 1997، ص 09)

ومن أحسن الاقتراحات التي قدمها الباحث عمر فروخ في مجال التأريخ للعصر الوسيط أن "الهجرة" أحق أن تكون المعلم بين العصور القديمة والعصور الوسطى حتى بالنسبة إلى أوروبا في حد ذاتها، إذ أن سقوط روما أدى إلى انتقال العالم الأوربي من حضارة ضعيفة إلى همجية، ومن شيء يسير من العلم إلى جهل مطبق، ومن بصيص نور إلى ظلام حالك، بخلاف الإسلام الذي نقل ثلاث قارات من الظلمات إلى النور (الجندي، 1998، ص 10)، ومن الجهل إلى العلم، ومن شبه همجية إلى حضارة زاهرة، ودليل ذلك أن البلاد التي دخلها الإسلام في أوروبا نفسها (كالأندلس وجنوبي إيطاليا) أصبحت في ذروة الرقي والحضارة بينما بقيت باقي الدول الأوروبية التي لم يدخلها الإسلام (كألمانيا وفرنسا وإنكلترا) في حضيض الجهل والهمجية، ولم تدخل إليها الحضارة إلا عن طريق الأندلس وجنوبي إيطاليا بواسطة الكتب التي نقلها الأفراد المنتورون من أهلها من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية. (فروخ، 1980، ص 19) وبالتالي "من أجل ذلك كله لا يجوز أن يظل اسم هذه العصور في تاريخنا (ولا في تاريخ العالم) العصور المظلمة، بل يجب أن نسميها "العصور المشرقة". (فروخ، 1980، ص 19) ؛ لأن عصرا فيه أمتان، أمة ذات حضارة إنسانية سامية – ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية – وأمة بلا حضارة لا يجوز أن ننسبه في التاريخ إلى أوروبا، ولا أن نسمي بصفة من صفات أوروبا يومذاك، بل يجب أن تنسب تلك العصور إلى الأمة التي أنتجت حضارة العصور الوسطى. (فروخ، 1980، ص 19)

وبعد هذه المرحلة المفصلية تأتي خطوات نظرية – متفق عليها – تتمثل في اختيار الموضوع، بعد تنفيذ قراءات ودراسات شاملة في دوائره المباشرة وغير المباشرة، وترتيب قائمة المصادر والمراجع التي تغذيها بمادتها التاريخية، وتصميم خطة بحث متوازنة مقنعة يقوم عليها المعمار التركيبي للبحث التاريخي، ثم البدء بجمع المادة وفق الشروط المعروفة، وفرز سياقاتها النمطية، والتحول لتركيب المادة التاريخية وصولا إلى استكمال الجوانب التكميلية الأخرى من مقدمة وخاتمة وقائمة مصادر ومراجع إلى آخره. وهذه جميعا خطوات منهجية عامة تلزم كل

محاولة للبحث في التاريخ، إسلاميا كان أم أوربيا أم صينيا. هنا حيث لا يكون للخصوصيات التاريخية تأثير على تقنيات المنهج الذي يبدو، كما لو كان أداة عمل محايدة، يمكن توظيفها للبحث في أي حقل من حقول المعرفة التاريخية. (خليل، 2013، ص 19-20)

وفي هذا السياق قدمت الكثير من المحاولات بدءاً من محاولة الباحث أحمد شلي المعروفة والقيمة في نفس الوقت الموسومة ب: "كيف تكتب بحثاً أو رسالة؟" (شلي، 1968، ص 23-64) وانتهاء بما تقوم به أقسام التاريخ في الجامعات المختلفة من إعداد مؤلفات خاصة بالمنهج، لكي تدرس على طلبتها في هذه المرحلة، أو تلك من مراحل الدراسة. (خليل، 2013، ص 20)

2.4. خصوصية الضوابط المتعلقة بإعادة تدوين التاريخ الإسلامي :

إذا انتقلنا إلى النمط الخاص لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، أي إلى الضوابط والمعايير والشروط التي يتحتم توفرها لدى الباحث في هذا التاريخ، مضافة على أوليات المنهج وتقنياته العامة المتفق عليها فإننا يجب أن نترث قليلاً. (خليل، 2013، ص 20) فينبغي أن يكون الباحثون على إلمام مناسب بملامح التفسير الإسلامي للتاريخ البشري، والتي تضع تحت أيديهم مجموعة قيمة من الضوابط التصورية التي لا يمكن فهم التاريخ الإسلامي بدون هضمها وتثقيفها، حيث إن التفسير الإسلامي، وهو يسعى وفق منهجه الخاص للكشف عن قوانين الحركة التاريخية وسننها على مستوى العالم، يضع في الوقت نفسه منظومة واضحة صالحة من القيم التي تُفسر تاريخ الإسلام نفسه. (خليل، 2013، ص 22)، بما أن الإنسان في كلتا الحالتين هو رحي التاريخ وقطبه، وبما أن السنن التي تعمل عملها في نسيج الحركة التاريخية هي نفسها سواء عملت على مستوى التاريخ البشري أم الإسلامي. (خليل، 2013، ص 22-23)

أما الضرورة الثانية؛ فهي أن يكون الباحثون على وعي مشترك بخصائص التأريخ الإسلامي نفسه، ليست الخصائص الجزئية التفصيلية، وإنما تلك التي تمثل امتداداً أكبر في الزمان والمكان، وتمنح هذا التاريخ خصوصياته المؤكدة التي تميزه عن تواريخ الأمم والجماعات والشعوب. ولن يناقش أحد في أن تاريخ الإسلام يحمل ميزات خاصة كهذه بما أنه -من بين عوامل عدة أخرى- نتاج لقاء حميم بين الوحي والوجود. (خليل، 2013، ص 23)

إن الأخذ بهاتين الضرورتين يمكن أن يحمل معه الإفادة القصوى من الحدين الإيجابي والسلبي للمسألة في إطارها المنهجي. فأما الحد الإيجابي فهو إعانة الباحثين على إدراك ومعرفة أعمق لوقائع هذا التاريخ وسبل تكوينه. وأما الحد السلبي فهو منع هؤلاء الباحثين من شتات الأمر، والتبعض في كل اتجاه، بل من التصادم والتضارب أحياناً في التصورات والتحليلات، وبالتالي في النتائج التي سيتمخض عنها العمل، الذي سيغدو - رغم ما ينطوي عليه من بذل وعناء - ضرباً على غير هدى، ولن يأت بالنتيجة المتوخاة من تقديم نسيج موحد لوقائع التاريخ الإسلامي مقاربا قد الإمكان لصيرورة هذا التاريخ وقوانين تشكله. (خليل، 2013، ص 23)

كما ينبغي تحقيق قدر من التوازن بين دراسة الجوانب السياسية-العسكرية، وبين فحص وتحليل الجوانب الحضارية، مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة أن ينظر إلى المعطيات الحضارية بوصفها أجزاء متفرقة تنتمي إلى كل أوسع، يتضمنها جميعاً وبمنحها معنى وهدفاً. (خليل، 2013، ص 23) وليس من الضرورة، بصدد هذه النقطة أن يقف الباحثون عند سائر التفاصيل والجزئيات التي تعج بها مصادرها القديمة، وبخاصة فيما يتعلق بالجوانب السياسية والعسكرية من تاريخنا، إذ ليس من الضرورة أيضاً أن يقع الباحث أسير هذا الحشد الزاخر من النصوص، ولا بد له - إذن - من أن يتجاوز الجزئيات إلى الكليات، والوقائع الصغيرة إلى الدلالات الخطيرة، ولا يقف عند حدود النص أو الواقعة بل يتعداها إلى معناها العميق ودلالاتها الموحية، وحينذاك سيقدر على تحقيق عملية الاختزال والتكيز، إذ إن كل مجموعة من التفاصيل والجزئيات تندرج تحت هذا المعنى أو ذاك، وتمنحنا هذه الدلالة أو تلك، في سياق الحركة التاريخية الأكبر حجماً، ومن ثم تغدو هذه الجزئيات عبارة عن مواد كمية، أو نماذج متشابهة، يمكن اعتماد عدد محدود من عيناتها للتوصل إلى الصيغة البنائية الأكثر للواقعة التاريخية، وبالتالي التخلص من ركام التفاصيل الذي يثير الإرباك في ذهن القارئ أكثر مما يحقق من سيطرة على الحركة التاريخية وتفهم لصيرورتها. (خليل، 2013، ص 23-24)

و تحقيق قدر من التوازن بين العرض الأكاديمي الصرف للوقائع التاريخية، سياسية وحضارية، وبين اتخاذ مواقف فلسفية، أو تصورية، لتفسير هذه الوقائع، وتبين عوامل تكوينها ومؤشرات مساراتها وحصيلتها مصائرها، شرط أن تندرج هذه المواقف جميعاً في رؤية نوعية متجانسة، وتلتزم الحد الأدنى المشار إليه من الأسس والمواضيع المستمدة من خامة التاريخ الإسلامي نفسه، من صميم نسيجه، غير المقحمة عليه من الخارج، فلا تتخذ إحداها التفسير المادي منطلقاً لها. (خليل، 2013، ص 23-24)

3.4. الجانب النقدي التاريخي المقترح في مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي :

أكد الأستاذ عماد الدين خليل على أنه من الضروري الأخذ بأسلوب نقدي رصين في التعامل مع الروايات التي قدمتها مصادرها القديمة، وعدم التسليم المطلق بكل ما يطرحه مؤرخنا القديم، وإحالة الرواية التاريخية، قبل التسليم النهائي بها على المحرر العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة؟ هذا فضلاً عن ضرورة التمهيد والنقد التاريخي، بواسطة مقاييس النقادين الخارجي والباطني ومعاييرها وصولاً إلى قناعة كافية بصحة الرواية. (خليل، 2013، ص 25)

ومضى الباحث إلى القول بأنه بالإمكان الاستفادة في مجال النقد الخارجي، إلى حد ما، من علمي (مصطلح الحديث) و(الجرح والتعديل) اللذين مورسا على نطاق واسع في تمحيص الأحاديث النبوية، وكذلك من كتب التراجم الغنية الخصبة، فما من أمة في الأرض عنت بتمحيص مصادر أخبارها وتاريخها كالأمة الإسلامية، فهناك تراجم لنصف مليون رجل أسهموا جميعاً في تقديم الأحاديث والأخبار والروايات التاريخية التي لا يمكن توثيقها والأخذ بها إلا بعد فحص أولئك الرجال الذين تناقلوها. ومن ثم فإن دراسة التاريخ الإسلامي دراسة منهجية جادة تستلزم بالضرورة دراسة هذا الموضوع المهم؛ لكي تقوم الأعمال التاريخية معتمدة على أوثق المصادر التاريخية وأدق الروايات، ومنقحة من الدسائس والسموم وسيل الروايات الضعيفة التي نفتتها القوى المضادة في مسار تاريخنا المتشابك الطويل. (خليل، 2013، ص 25)

ولقد أدرك عدد من المؤرخين المعاصرين إيجابيات هذا المنهج ودقة قواعده النقدية. (العمرى، 1997، ص 20-22)، فدعوا في مؤلفاتهم إلى الاقتداء به، وتفعيله، والتأسي به، حيث واقتبسوا فصولاً قيمة من مؤلفات علماء المصطلح مثل الحافظ الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، والحافظ ابن عبد البر (ت 463هـ) وابن الصلاح (ت 643هـ) وغيرهم، بل قد عنون أحدهم -وهو كاتب نصراني- لكتابته باسم المصطلح الذي يستعمله علماء الحديث. (أحمزون، 2011، ص 69-70) والمقصود به في هذا السياق هو المؤرخ اللبناني النصراني المعاصر أسد رستم الذي سمي كتابه ب: "مصطلح التاريخ" على شاكلة "مصطلح الحديث"، مستفيداً في هذا الشأن من قواعد مصطلح الحديث في نقد روايات التاريخ. (رستم، 2015، ص 18-20)

ومن المستحسن أن توضع مؤشرات عمل في الاتجاهات النقدية الثلاثة، أولها يتعلق بنقد الرواية الأساسية لدى المؤرخ القديم، وتصنيف الروايات حسب قوتها وضعفها، وثانيها يرتبط بنقد مواقف المؤرخين المعاصرين وفلاسفة التاريخ، الذين تعاملوا مع تاريخنا ودرسوا جوانب منه، وتحديد مدى قرب معطيائهم أو بعدها عن الحقيقة التاريخية، والاتجاه الآخر هو نقد معطيات الحركة الاستشراقية بأجنحتها كافة، وتحديد المساحات التي يمكن الاستفادة الفاعلة منها، و تلك التي يجب تجنبها، مع تبيان أبعادها اللاموضوعية وهذا ينقلنا إلى النقطة الأخيرة في هذه المنظومة من الضوابط والشروط والتي سنقف عندها بعض الوقت. (خليل، 2013، ص 30-31)

وبخصوص نقد معطيات الحركة الاستشراقية، فإننا نلاحظ أن هناك سياقاً أغلب الظن أنهما انحسرا -لحسن الحظ - في حيز محدود: السياق الأول؛ ويتمثل في الرفض المقفل لمعطيات الحركة الاستشراقية كافة، والسياق الثاني يتمثل في القبول المستسلم لهذه المعطيات، والمنهج العدل يمضي لكي يتعامل مع المادة الاستشراقية دون أن يتقبلها بالكلية أو يلغيتها من الحساب، فعن طريق التبصر الواعي بهذه المادة، وفي ضوء التمهيد العلمي المتأنى الدقيق يمكن أن يتحقق الأخذ والرفض. (النملة، 2012، ص 19-38) (خليل، 2013، ص 30-31)

وبعد تمحيص الروايات التاريخية تأتي مرحلة التفسير التاريخي، ويقصد بها معرفة الروابط التي تربط الحوادث والوقائع المختلفة، لتبين دوافعها، ومنطلقاتها، ونتائجها، واستخلاص السنن من خلالها، والاعتبار بالدروس والعظات فيها، ولا بد أن يركز منهج تفسير والحكم على وقائع التاريخ الإسلامي على التصور الإسلامي (خليل، 1981، ص 97-105)، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضاها هي الأساس في منطلقاته المنهجية. (السلمي، 2008، ص 166-167)

4.4. الصعوبات والعراقيل التي تعترض مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي:

- لا يعتبر مشروع إعادة تمحيص وصياغة التاريخ الإسلامي عملاً علمياً سهلاً تناول، قريب المأخذ، بل صدّته في الفترة المعاصرة جملة من العوائق، وثنته عدّة عوارض، ولوته طائفة من الموانع، ويمكن إبراز أهمها فيما يلي:
- عدم وضوح الرؤية بالنسبة لطبيعة العمل؛ فمن قائل بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه، واعتماد بنية جديدة لوقائعه، وصيرورته، ترفض ما قدمه مؤرخنا القدامى، ومن قائل بضرورة اعتماد صيغة انتقائية تأخذ بهذا وترفض ذاك، ومن قائل بضرورة إعادة تفسير وتحليل معطيات هذا التاريخ بدلا من إعادة تركيبه، وآخرون لا يعرفون على وجه الدقة واليقين ما الذي يقصدون من العمل المنشود؛ لأن الضباب يلف تصورهم فلا يتيح لهم الفرصة لاستيضاح ملامح الطريق. (خليل، 2013، ص 14)
- ومن الصعوبات غياب المنهج وضعف القدرة على التخطيط، فقد تتضح الرؤية أحيانا، وتتحدد طبيعة العمل، وتتكشف أبعاده... لكن أسلوب العمل وطرائقه -أو المنهج بعبارة أخرى- غير متحقق، وخاصة في ظل الضعف في القدرات التخطيطية لدى البعض، وهذا ما يستدعي برنامج عمل محدد الخطوات، مكتمل المفردات، مثبت الأهداف والغايات. (خليل، 2013، ص 14-15)
- فقدان الروح العلمية الجماعية التي ألزمتنا عليها الإسلام، وانحصرت توجهاتنا البحثية على العمل الفردي، والتي قد ينتابها القصور، فتمحو القدرة على التوجه الجماعي الذي تتكامل فيه الطاقات، وتتضافر القدرات، ويتدفق العطاء العلمي لكي يصب في الهدف الواحد. (خليل، 2013، ص 15)
- وثمة ما يراد أحيانا بمشروع كهذا: احتواؤه عقديا، وتوظيفه من أجل الإيديولوجيا أو تلك... وهذا نقيض الموضوعية، والموضوعية والإنصاف شرط حاسم من شروط البحث العلمي التاريخي الجاد، ثم إن محاولات كهذه قد تملك المال والقدرة ولكن لا تملك النفس البحثي الطويل الذي يُمكّننا من الماضي، ومواصلة الطريق حتى نهايته... ذلك أنها رهينة بظروف مرحلية، ومتغيرات زمنية، وسرعان ما تتوقف بتحول صيغ معادلات الظروف المرحلية أو أن تطرأ عليها متغيرات زمنية. (خليل، 2013، ص 16)
- وقد يرتبط بهذا المشروع الهام ضعف النية الصادقة، وتحويل الدعوة إليه إلى عمل دعائي صرف، والأعمال بالنيات، وإذا طال الطريق بين النية والفعل، بسبب ضخامة العمل وطول المدى، فلا تؤمن العواقب، وربما يتم الاقتصار على المظاهر السريعة بدلا من بناء الجوهر المخبوء، مما يؤدي أن يكون هذا المشروع صعب المنال. (خليل، 2013، ص 16)
- وقد تؤدي الحواجز الجغرافية، والحدود السياسية بين مؤرخي العالم الإسلامي المعاصر - والتي أدى الاحتلال الغربي المعاصر دورا كبيرا في رسمها وإذكاء المشاكل حولها وتأجيج الصراعات حولها -، والتي تتزايد مع مرور الأيام، دورها في صعوبة المهمة، وعرقلة مضيقها إلى الهدف المرجح المنشود، فكلما تنادى حشد من المؤرخين، هنا وهناك، وهنالك، لتنفيذ هذا المطلب الملح، وجدوا في طريقهم من العوائق والعقبات، مما يجعل تحركهم صعبا قاسيا، ومهمتهم شبه مستحيلة، فيكفون عن الإدلاج فيما لا بادرة ضوء فيه، ويعودون من حيث جاؤوا. (خليل، 2013، ص 16)
- ويرتبط بهذا نقص ملحوظ في الاختصاصات وعدم تكاملها أحيانا، فهي قد تتزايد في جانب، وتشتد في جانب آخر، تبرز وتطغى في هذه المرحلة، وتنزوي وتذوب في مرحلة أخرى، والأعمال الجماعية، ما لم تتحقق بالتوازن والتكامل والتغطية لكافة الجوانب والمساحات فلن يجرى تنفيذها، وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي وعرضه وتحليله، مشروع كبير، فما لم تتبناه وتدعمه مؤسسة قديرة على لم الطاقات، وتوفير الاختصاصات المتكاملة وتوازنها، بآء بالفشل المحتوم. (خليل، 2013، ص 17)

- ومن الصعوبات النفسية ذلك الإحساس المتزايد بالإحباط واليأس، والذي يترافق فشل كل محاولة، وإخفاق كل مشروع بعد أن يمضي خطوات فحسب في الطريق، وهو إحساس ذو تأثير سيئ غاية السوء، يوحي فيما يوحي بخطأ الفكرة واستحالة تحقيقها، ويكبل الإرادة المسلمة من الداخل بالأغلال التي تشلها عن التهيؤ، وشحن الطاقة، والانطلاق لتنفيذ الأعمال الكبيرة، وما لم تنداع لإنقاذ الدعوة إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من مزيد الورطات والمطبات والإخفاق فإن الإحساس بالإحباط سينزع المبادرة من أيدينا، وسيسلمنا إلى الفشل المحتوم. (خليل، 2013، ص17)

5. إنجازات تاريخية معاصرة رائدة في مجال إعادة تدوين التاريخ الإسلامي الوسيط :

على الرغم من الصعوبات والعراقيل التي اعترضت مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي ؛ إلا أنه قد تجسدت تلك الدعاوى المنادية بإعادة صياغة التاريخ الإسلامي وتدوينه على أرض الواقع ، وتمثلت في شكل مجموعات من الإنجازات التاريخية الجماعية تارة والإسهامات النقدية التي قام بها ثلة من الباحثين والمحققين المعاصرين تارة أخرى. ويمكن أن نوضح نماذج تطبيقية فيما يأتي:

1.5. الباحث الناقد أكرم ضياء العمري وإسهاماته في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي "السيرة النبوية والخلافة الراشدة":

يعتبر الباحث أكرم ضياء العمري من أشهر علماء العراق، لما له من أثر في صقل الروايات التاريخية ونقدها وفق منهج المحدثين، وقد نادى باستخدام هذا المنهج في التاريخ، وبالأخص في فتنه مقتل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه مجموعة من الأساتذة المتخصصين، ومنهم محب الدين الخطيب (ابن العربي، 2011، ص47-48)، وصادق عرجون (عرجون، 1981، ص9-18)، ويوسف العشي. (العشي، 1985، ص32-37)

وأول دراسة كتبها الباحث أكرم ضياء العمري في هذا الصدد كتاب "السيرة النبوية الصحيحة" (العمري، 1994، ص29)، وأشار في مقدمته إلى أنه من الثغرات المهمة التي انتبه لها الباحثون -في الستينيات من القرن العشرين- قضية إعادة صياغة التاريخ الإسلامي وفق التصور الإسلامي لحركة التاريخ من ناحية التفسير التاريخي، ووفق مناهج المحدثين من ناحية البحث في التاريخ الإسلامي. (العمري، 1994، ص29)

ولقد سخر جهوده في هذا الكتاب وغيره -كما سيأتي ذكره لاحقاً- على إعادة صياغة كتابة التاريخ الإسلامي في فترة السيرة النبوية وعصر الخلافة الراشدة، حيث يقوى تأثير العقيدة في دوافع سلوك المسلمين من جهة، كما أن المصادر تتشابه من ناحية التزامها بسوق الأسانيد على طريقة المحدثين في الغالب من جهة أخرى. وكذلك لخطورة تاريخ صدر الإسلام، حيث يمثل التطبيق الصحيح لتعاليم الإسلام الكاملة الشاملة، فهو الصورة النموذجية والمثال الذي نسعى بمجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة للوصول إليه. (العمري، 1994، ص29)

ومن معالم التميز التي اتسم بها منهج أكرم ضياء العمري في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي هو ضرورة المرونة في تطبيق قواعد المحدثين في نطاق التاريخ الإسلامي العام، فلا شك -حسب المحقق أكرم ضياء العمري- أن اشتراط الصحة الحديثية في كل رواية تاريخية نريد قبولها فيه تعسف، لأن ما تنطبق عليه هذه الشروط لا يكفي لتغطية العصور المختلفة للتاريخ الإسلامي، مما يولد فجوات في تاريخنا، لذلك يكفي التوثق من عدالة المؤرخ وضبطه لقبول ما يسجله ، مع استخدام قواعد النقد الحديثي في الترجيح عند التعارض بين المؤرخين. (العمري، 1994، ص45)

ومن مميزات هذا الكتاب مقدمة نقدية هامة حول مصادر السيرة النبوية، والتي قسمها إلى مصادر متنوعة منها الأصلية ومنها التكميلية، وقام بإعطاء فكرة عن هذه المصادر، وقيمتها، وكيفية استعمالها، ويقف القرآن الكريم في مقدمتها، ولقد تضمن بعض الحوادث

التاريخية في عصر السيرة مثل: بدر، أحد، حنين، وكذلك نرى فيه تصورا دقيقا للصراع الفكري والمادي بين المسلمين واليهود في الحجاز، وبإشارة القرآن الكريم إلى الأمم الماضية وسَّعَ النظرة التاريخية عند المسلمين، فشملت دراساتهم التاريخية الأنبياء والأمم الماضية، وينبغي التفتن إلى أن الإفادة التامة من القرآن الكريم لا تتم إلا بالرجوع إلى كتب التفسير الموثقة، وخاصة التفسير بالمأثور، مثل تفسير الطبري وتفسير ابن كثير، وينبغي أيضا الرجوع إلى كتب النسخ والمنسوخ، وكتب أسباب النزول، وغيرها من كتب علوم القرآن. (العمرى، 1994، ص47-49)

أما عن أهمية الحديث النبوي الشريف في إعادة كتابة تاريخ السيرة النبوية؛ فأهميته جليلة جدا، فالأحاديث النبوية الشريفة توضح العقائد والآداب الإسلامية، وتبين أحاديث الأحكام النواحي التَّعبُدية والتشريعية، ولكل هذه الجوانب صلة وثيقة بالحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبوة وما تلاه. (العمرى، 1994، ص49)

ولاشك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي، والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سندا ومتنا، وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية، ولكن ينبغي التفتن أن كتب الحديث لا تعطي التفاصيل كاملة، وينبغي إكمال الصورة من كتب السيرة المختصة. (العمرى، 1994، ص50)

ومن الدراسات التاريخية المهمة التي تدرج في إطار مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي ، ما تعلق بالسيرة النبوية، والمتمثل في كتاب "المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى"؛ وهي دراسة كتبها الباحث أكرم ضياء العمرى في أناة ونقحها على مهل وتؤدة، وحاول من خلالها تطبيق منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية، مع ضرورة المرونة في تطبيقها، كما نصَّ على ذلك صراحة في مقدمة كتابه "السيرة النبوية الصحيحة" (العمرى، 1983، ص30) ، وهذا بالإضافة إلى مسألة جوهرية تم التنصيص عليها ألا وهي ضرورة استخدام المصطلحات التي تتناسب مع التاريخ الإسلامي، وهو أمر ضروري جدا للحفاظ على استقلال التصور والمنهج الإسلامي، وإبراز هويته، كما أنها أوضح وأدق من المصطلحات الغربية. (العمرى، 1983، ص23-24)

والدراسة المكملة لفترة السيرة النبوية هي المختصة بعصر الخلافة الراشدة؛ وهي عبارة عن محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، وهو عصر تاريخي مهم جدا، باعتبار أن عصر الخلافة الراشدة امتداد لعصر السيرة النبوية، حيث تؤثر القيم الإسلامية على الناس في نشاطهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وقد التزم بتطبيق مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية إذا تعلقت بالعقيدة والشرعية، أما الأخبار التي تتناول الفتوحات، وتعيين الولاة والقضاة والموظفين فإنها لا تقتضي إعمال المنهج النقدي الحديثي فيها بل يكفي اتفاق الإخباريين، وسلامتها من التناقض والشذوذ، وسلامة القصد عند الرواة لئلا يميلوا بالأخبار نحو خدمة اتجاهاتهم العقدية والسياسية. (العمرى، د.ت، ص9-10)

ومن مميزات هذه الدراسة تلکم الدراسة التحليلية النقدية لمختلف مصادر التاريخ الإسلامي، على اختلاف أنماط تدوينها من كتب التاريخ العام، والطبقات والتراجم، وفتوح البلدان وغيرها من المصادر التاريخية المهمة. (العمرى، د.ت، ص11-39)

وقد استفاد الباحث المحقق أكرم ضياء العمرى في هذا الكتاب من الأطروحات والرسائل الجامعية التي أشرف عليها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والتي التزمت بمنهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية، وهي تمثل عملا رائعا ورائدا في هذا الميدان المهم (العمرى، 1983، ص30) ، ومن بينها "الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعا وتوثيقا" (اليحيى، د.ت، ص31) ، و"فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه" (الصبيحي، 2003، ص16-23).

2.5. الباحث الناقد محمد أمحزون المغربي وجهوده في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي الوسيط: " الفتنة الكبرى أمودجا "

أكد المحقق الناقد محمد أمحزون بأن إعادة النظر في التاريخ الإسلامي مطلب ملح؛ إذ ليست الحاجة إلى التثبت من الأخبار وتوثيق النصوص التاريخية الإسلامية بأقل من الحاجة إلى العلوم الإسلامية الأخرى كالتفسير والحديث والفقه، وذلك لأن معظم التجاوزات التي

لا زالت حية في الأمة إنما تركز على تزوير تاريخي وتدليس في رواية وقائع صدر الإسلام خاصة. مما لا يدع مجالاً للشك بأن التوعية التاريخية ضرورة لأبد منها لا اكتمال التوعية الشرعية والرؤية السليمة، علماً بأن تاريخ الإسلام في عصر الراشدين هو التاريخ التطبيقي للإسلام عقيدة وشرعية. (أحزون، 2011، ص 13)

ولقد تطرق في بداية دراسته إلى المحاولات المبكرة التي دعت إلى رفض الصيغة الاستسلامية في التعامل مع جميع الروايات التاريخية على وجه القبول والتسليم، ونهت إلى عدم التسليم ببعض روايات مؤرخينا القدماء لكونها قد أصابها الخلط وامتزج فيها الحق بالباطل. فقد سمى القاضي أبي بكر بن العربي المالكي في كتابه العواصم من القواصم إلى اعتماد منهج نقدي صارم في دراسة إحدى الفترات الخطيرة في التاريخ الإسلامي: عصر الخلفاء الراشدين ومطلع العصر الأموي، وكشف بعض أشكال الزيف الذي لحق بحوادث صدر الإسلام، وأماط النقاب عن عدد من الافتراءات الموجهة ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى وجه الخصوص عثمان بن عفان رضي الله عنه. (أحزون، 2011، ص 33)

وبخصوص منهجه في هذا الكتاب، فليس الغرض منه الرد على كل الشبهات التي أثرت حول التاريخ الإسلامي أو نقد جميع الروايات التي لا تنسجم مع تلك المرحلة التاريخية، ولكن منهجه يقوم على مقاييس نقدية منها بيان الحقائق التاريخية مدعمة بالأدلة من النصوص الصحيحة، وتقديم الروايات التي تتماشى في مضمونها مع معطيات تلك الفترة، وذلك في إطار المبادئ والمفاهيم والقيم الإسلامية، ومن منطلق دوافع السلوك عند الأفراد والحكام في ذلك العصر، والتي كانت توجهها العقيدة. (أحزون، 2011، ص 24)

وبناء على منهجه الذي قرره في مقدمة كتابه، فقد انتقى الباحث محمد أحزون من تاريخ الطبري الروايات التي تتماشى مع روح المجتمع في صدر الإسلام، وتنسجم مع بنائه العقدي والحضاري وبالمقابل انتقد الروايات التي تناقض المسيرة الطبيعية للمجتمع الإسلامي، وهذا في إطار الموازين والمقاييس التي ذكرها آنفاً. وقد يرجع أحياناً إلى مصادر تاريخية إما لإكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الواردة عند الإمام الطبري، وإما للاستدلال على بعض القضايا التاريخية، أو الاحتجاج لما رواه من أخبار، واعتمد بصفة عامة على مرويات المحدثين التي كانت وسيلة للترجيح أو لإمالة النقاب عن كثير من الحقائق التاريخية، كما أنها كانت بديلاً لبعض الروايات المشتهرة و المدونة في تاريخ الطبري وغيره من كتب التاريخ الإسلامي. (أحزون، 2011، ص 24)

3.5. العلامة محمد الصادق إبراهيم عرجون وجهوده في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي : السيرة النبوية والخلافة الراشدة

كرّس العلامة محمد الصادق إبراهيم عرجون جهوده في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، مركزاً على فترة السيرة النبوية الشريفة، والموسوم بكتاب "محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة- بحث وتحقيق"، وهذا الكتاب نال لقب "مفتاح تحقيق التاريخ الإسلامي" حسب مؤلفه؛ ويحتوي هذا الكتاب المهم تحقيقات مهمة وتعليقات نفيسة، وبحوثاً تناقش جملة من الروايات التاريخية الخاصة بالسيرة النبوية، لتستخرج من أعماقها الصحيح الذي يتفق مع القرآن الكريم، ويتفق مع حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسانية، منذ ولادته إلى أن فارق الدنيا إلى الرفيق الأعلى، ويتفق مع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ثبوتاً أقرب في صحته إلى القطع الذي لا يقبل الشبهات. (عرجون، 1995، ص 09)

وقام كذلك بتحقيق ونقد فترة الخلافة الراشدة، وتجلي ذلك في كتاب "عثمان بن عفان رضي الله عنه" وكتاب "خالد بن الوليد رضي الله عنه" (عرجون، 1967، ص 11-20) ويقول المحقق الناقد محمد الصادق عرجون في صدد بيان وتقرير منهجه التطبيقي في إعادة تدوين سيرة الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه: "وسيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه حرة بالبحث الممحص الهادئ، ليكشف منها ما سترته الأقباص العائبة من فضائل، وما شوهته الروايات الغالطة من محاسن، ويصحح ما غالطت فيه من حقائق، ويظهر ما بهرجه المتقولون من أكاذيب مزورة، وحكايات باطلة." (عرجون، 1981، ص 07-08)

4.5. المحقق محمد بن طاهر البرزنجي وجهوده في إعادة كتابة التاريخ الإسلامي: "تاريخ الرسل والملوك للطبري"

يبين الأستاذ عماد الدين قيمة تاريخ الطبري وضرورة نقد و تمحيصه منذ زمن بعيد، لأن المعنيين بالهم التاريخي كانوا ينتظرون اليد الخبيرة التي تمتد لسفر الطبري الكبير، لكي تغربل تلال رواياته التي تغطي مراحل زمنية متطاولة تبدأ بالخليقة وتطل على بدايات القرن الرابع الهجري. وهي روايات تاريخية تنطوي على الصحيح والضعيف كما هو معروف. ويكفي الطبري تميزاً انه استطاع بجهده الاستثنائي أن يلم ويوثق هذا الحشد الهائل الذي اعتمده المؤرخون الذين أعقبوه ، والذي لولاه لتعرضت مساحات واسعة من تاريخنا الإسلامي للضياع.(خليل،2013، ص01)

والمؤرخ الطبري(ت310هـ) نفسه يقول في مقدمة كتابه (تاريخ الرسل والملوك): "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل انه لم يعرف له وجهاً من الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم انه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من بعض ناقله إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا." (الطبري،1967، ج01، ص07)

فكان الطبري بذلك يطلب من كل الذين سيحيثون بعده ألا يسلموا بروايته كافة، وكأنه يعطي إشارة المرور وسط أكداس رواياته بمشروط النقد الصارم للتمييز بين الصحيح والضعيف.

وها هو ذا الباحث الدكتور محمد بن طاهر البرزنجي يشمر عن ساعد الجد لأداء هذا المهمة الصعبة والضرورية ، والتي انتظرها الباحثون المتخصصون ردحا من الزمن، يعاونه في ذلك تحقيقا ومراجعة وإشرافا كل من الأستاذ محمد صبحي حسن حلاق والدكتور الشيخ يحيى إبراهيم اليحيى، وعماد الدين خليل ، وأكرم ضياء العمري. وبمجرد إلقاء نظرة على أجزاء الكتاب الذي سماه صاحبه (صحيح تاريخ الطبري) وسماه ناشره (صحيح وضعيف تاريخ الطبري) يتبين حجم الجهد المتطاوّل الذي بذله الأخ البرزنجي في إنجازها .

صحيح أن علم التاريخ ، كعلم إنساني وليس علماً صرفاً أو تطبيقياً ، هو علم مقارنة للحقائق لا مطابقة لها ، وصحيح أن أعمال معايير الجرح والتعديل في الروايات التاريخية سيجعلنا نحسر كمّاً كبيراً منها ، وصحيح أيضاً أن قبول الروايات التاريخية الضعيفة أمر مبرر أحياناً، ما دام أن بعض المحدثين أنفسهم قد قبلوا في حالات معينة الأحاديث الضعيفة في مسائل السلوك والأخبار وليس في قضايا العقيدة والتشريع بطبيعة الحال ، ألا أن الأمر رغم ذلك كله يمكن اعتباره خطوة جريئة أو ربما (مجازفة) ضرورية لوضع اليد على الروايات الأكثر قبولاً في سفر الطبري العظيم. فما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولقد سبق الأستاذ الدكتور أكرم العمري أن أخذ زمام المبادرة مع عصري الرسالة والراشدين ، وخرج بعمليتين جليلتين أصبحا بمرور الوقت من المراجع الضرورية الملزمة للطلبة والباحثين.

وها هو ذا البرزنجي يمضي على الطريق ، وإنما هي في الحالين السنة الحسنة التي تغري المعنيين بالهم التاريخي بتنفيذ المحاولة المنهجية ذاتها مع مؤرخين آخرين لكي يأخذوا بيد القراء والباحثين وهم يغرقون في بحار الروايات الصحيحة والضعيفة ، إلى بر الأمان ما وسعهم الجهد. إن تاريخ الطبري عمل تأسيسى سواء للمؤرخين القدماء الذين جاءوا بعده والذين لم يستطع أي منهم إلا أن يمتح من بحره المتدفق ، أو الباحثين والمؤرخين المعاصرين الذين يقف (تاريخ الرسل والملوك) دائماً على رأس قوائم مصادرهم المعتمدة. وما دام الأمر كذلك فان (البوصلة) التي منحنا إياها الأخ البرزنجي للأبحار في روايات الطبري ، كانت إذا أردنا الحق ضرورة ملزمة قدر لهذا المحقق أن ينال شرف التوجيه إليها والأخذ بمطالبتها.

وبسخاء ملحوظ يعرض علينا المحقق في بدايات المجلد الأول من كتابه مقدمة خصبة تتجاوز المائة صفحة يعالج فيها جملة من الضوابط والمعايير الضرورية في التمهيد لعمل خطير كهذا. فهو على سبيل المثال يعرف التاريخ، ويستعرض أسباب اهتمام الأمة المسلمة بكتابة التاريخ ، ثم يعرج على نشأة التاريخ عند المسلمين ، ومدارسه ، ثم يمضي لترجمة أهم الإخباريين والمؤرخين الذين أخذ عنهم الطبري، الثقافات منهم وغير الثقافات ، وهذه مسألة في غاية الأهمية لأنها تضع بين يدي القراء والباحثين واحداً من أهم مفاتيح التعامل مع روايات الطبري.(البرزنجي،2007، ج 01، ص 05-61)

ويعتبر المحقق البرزنجي بعدها لتقديم عرض مركز عن الطبري نفسه : عصره ونشأته وطلبه للعلم ورحلاته ، وأقوال العلماء فيه ، وشيوخه، ثم منهجه في التاريخ والنقد الموجه إليه، ورؤيته الإسلامية للتاريخ ، ويختتم بالشروط والضوابط المنهجية لكتابة التاريخ الإسلامي، ولا ينسى أن يخصص بضع صفحات للحديث عن كتاب الطبري : تاريخ الرسل والملوك (البرزنجي، 2007، ج 01، ص 73-110) .

اعتمد المحقق تقسيماً دقيقاً لعرض عمله هذا بأن أفرد لكل عصر من عصور الإسلام وما قبله مجلداً مستقلاً. فتناول في مجلده الأول (قصص الأنبياء وتاريخ ما قبل البعثة)، وتناول في مجلده الثاني (السيرة النبوية)، أما المجلد الثالث فقد خصصه (للخلافة الراشدة) وهكذا. وهو بهذا سيمكن الباحثين والقراء من الإمساك جيداً بروايات الطبري الصحيحة عن كل عصر من العصور.

ولقد بذل المحقق جهداً صعباً في انتقائه الروايات الأقرب إلى الصحة من بين حشود الروايات التي يعرضها الطبري بإسنادها عن كل موضوع من الموضوعات. وهوامشه الغنية تعكس جهداً أكثر مشقة من سابقه ذلك هو تخريج الروايات وفق منهج الحديث، وبصدق وإخلاص (علماء الرجال) يقف المحقق عند إسناد كل رواية لكي يبين مدى صحتها وفق معايير الجرح والتعديل.

وثمة ميزة أخرى تكشف عن نفسها في هوامش الكتاب من خلال المضاهاة التي نفذها المحقق بين روايات الطبري وبين ما أورده القرآن الكريم عن هذا النبي أو ذاك ، وعن هذه الواقعة التاريخية أو تلك ، فيما يمكن أن يسدي خدمة بالغة للدراسات المقارنة بين النص القرآني والمصنفات التاريخية. وبما حبذا لو مارس المضاهاة نفسها مع السيرة النبوية حيث يخصص القرآن الكريم ، على سبيل المثال، مساحات واسعة لغزوة بدر في سورة الأنفال، و لغزوة أحد في سورة آل عمران ، ولغزوة الخندق في سورة الأحزاب، ولغزوة بني النضير في سورة الحشر ، ولغزوة تبوك في سورة تبوك... إلخ ، فضلاً عن الوقائع المتعلقة بعصر الرسالة المحمدية، والتي وقف عندها المعنيون بأسباب النزول .

ويلتقي القارئ في مطلع المجلد الخاص بالخلافة الراشدة بمقدمة يعرض فيها المحقق المنهج الذي اعتمده فيما يتعلق بهذا العصر الذي لحقه الكثير من الروايات الضعيفة والمدسوسة ، وهو جهد ضروري لتقديم صورة أقرب إلى طبيعة ذلك العصر التأسيسي الخطير بمعطياته الخصبة ، وإنجازاته الكبرى ، وتميزه الفريد. العمري والبرزنجي فرسا رهان شق كل منهما طريقاً صعباً في تمحيص الروايات التاريخية ، وأعطى الإشارة لكل مؤرخ جاد يستهدف التحقق بمقاربة أكثر صدقاً لوقائع تاريخنا الإسلامي ، ولأكداس الروايات التي تحدثت عنه.(البرزنجي ، 2007، ج 03، ص 05-11)

6. خاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث يمكن أن نورد تلخيصاً مركزاً لمضمونه، حيث أنه تمحور حول مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط ؛ وتناول في حيثياته الدلالة اللغوية والاصطلاحية للتاريخ ، والمقصود بمشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، حيث حدد دلالته بأنه التمهيص و التنقية لوقائع التاريخ الإسلامي من الشوائب و الأخطاء ، مع تبيين جهود المؤرخين الأوائل في جمع المادة العلمية من مختلف المظان والموارد، كما عرج البحث على الجذور التاريخية لهذا المشروع ، فهو مشروع موغل في القدم تعود إرهاباته الأولى للقرن التاسع الهجري ، ونادى به المؤرخ ابن خلدون، واستمر الدعوة إليه حتى الفترة المعاصرة ،وتجسد ذلك في مؤلفات وتحقيقات جمهرة من الباحثين النقاد ومن أبرزهم المحقق محب الدين الخطيب، وركز الموضوع حول أهم الدواعي التي أدت إلى ظهور هذا المشروع، ومختلف المعايير المنهجية المؤدية إلى تجسيده ، وفي المقابل العوائق والعراقيل التي تعترض طريق تطبيقه، إلا أن ذلك لم يمنع الباحث من إبراز بعض الجهود والمشاريع التطبيقية التي تصبو إلى إعادة التدوين و الكتابة للتاريخ الإسلامي ، و تم الاستشهاد في هذا المقام بنماذج فردية وجماعية في هذا الصدد ، ومن أبرز المشاريع الجماعية الهادفة لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي التي تم انتقاؤها نموذج صحيح وضعيف تاريخ الطبري الذي ألفه المحقق محمد بن طاهر البرزنجي ، و فيما يتعلق بالنماذج الفردية تم اختيار مؤلفات المحقق الباحث أكرم ضياء العمري ، والعلامة صادق عرجون، والباحث محمد أمحزون .

و يمكن أن نوضح أهم الاستنتاجات الرئيسية المتوصل إليها في البحث في النقاط التالية :

- إن الدعوة إلى إعادة تدوين التاريخ الإسلامي موعلة في أعماق الزمن؛ فأرهاصاتها بدأت مع مؤرخي الإسلام على غرار ابن حزم مروراً بالحافظ ابن كثير ، واتضحت معالمها مع المؤرخ العلامة ابن خلدون، واستمرت وتيرتها حتى الفترة المعاصرة .
- إن الذرائع التي استند إليها الباحثون المعاصرون في الدعوة إلى مشروع إعادة كتابة الإسلام تعتبر قوية، وأسباب هذا المشروع وجيهة، وإجابه لازمة عند الباحثين والنقاد المعاصرين، وموافقته مكربة عند طلاب التاريخ المنصفين.
- إن سمة التكامل المعرفي لدى علماء الإسلام المتقدمين أسهم في تنقيح كثير من الروايات التاريخية المتعلقة بتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية.

- شارك عدد من الباحثين المعاصرين المبرزين في إثراء مشروع إعادة صياغة التاريخ الإسلامي ومن بينهم أكرم ضياء العمري، الذي استفاد فيه الوسع والطاقة، وهذا بصفة مباشرة من خلال تأليفه لعدد من المؤلفات التي سعى من خلالها إلى تطبيق منهج المحدثين على الروايات التاريخية بدءاً بمرحلة السيرة النبوية والخلافة الراشدة. وبصفة غير مباشرة من خلال الإشراف على العديد من الأطروحات والرسائل الجامعية التي تبنت منهجه في التدوين والنقد للرواية التاريخية، وتناولت محاور مفصلية في التاريخ ومن بينها الفتنة الكبرى ، وروايات الإخباريين .

- تعتبر المرونة والوسطية من أهم ملامح جهود أكرم ضياء العمري في إعادة صياغة التاريخ الإسلامي؛ لأن اشتراط الصحة الحديثة في كل رواية تاريخية يعتبر تعسفاً و تنجم عنه فجوات في تاريخنا الإسلامي .

- تأثر عدد من الباحثين الغربيين بالمنهج النقدي الحديثي، ومن بينهم باحثين نصارى مثل الكاتب أسد رستم الذي كتب كتابه "مصطلح التاريخ" متأثراً في هذا الكتاب بمصطلح الحديث .

- أبان المحقق محب الدين الخطيب من خلال تحقيقاته الحصيفة لمصادر التاريخ الإسلامي عن مدى حاجة المصادر التاريخية للتححيص والنقد.

- استفاد محمد أمخزون من التجارب العلمية السابقة في تححيص وإعادة كتابة إحدى الفترات التاريخية المهمة في التاريخ الإسلامي، و أضاف لبنة في تاريخ الخلافة الراشدة .

- تمكن محمد بن طاهر البرزنجي من لم شمل المحققين والنقاد المهتمين بالتاريخ الإسلامي في عمل موسوعي يستهدف أكبر مصدر تاريخي ألا وهو تاريخ الرسل و الملوك للمؤرخ الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، والذي يعتبر من أمهات الكتب التاريخية التي لا يستغني عنها باحث أكاديمي .

- إن إعادة النظر في إعادة تقسيم العصور التاريخية بما يتناسب وهوية الأمة العربية الإسلامية ومنجزاتها الحضارية هو مطلب ملح و ضروري لاستكمال إعادة صياغة التاريخ الإسلامي .

- أثمرت جهود علامة الأزهر محمد الصادق إبراهيم عرجون في مجال إعادة كتابة التاريخ الإسلامي عدة مؤلفات تاريخية رصينة منها كتاب محمد صلى الله عليه وسلم من نبوته إلى بعثته، وكتاب محمد صلى الله عليه وسلم ، و مؤلفات أخرى تختص بالخلافة الراشدة أحدهما حول خالد بن الوليد و عثمان بن عفان رضي الله عنهما .

- من الدوافع المهمة لإعادة تدوين التاريخ الإسلامي هو امتداد الرؤية الاستشرافية القاصرة المجحفة ، وصدى بعض الروايات الشعبية التي تسربت في العصور التاريخية الإسلامية اللاحقة مثل الشعبية في العصر العباسي ؛ وكل ما سبق أدى إلى تزييف بعض فترات التاريخ الإسلامي مثل عصر النبوة و الخلافة الراشدة ، أو إلحاق تشويه ببعض الشخصيات الإسلامية المحورية مثل الخليفة هارون الرشيد .

- لم يكن مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي قريب المرام، يسير الملتمس، داني التناول، قريب الارتياح، فقد واجهته عدة أسباب عائقة، وعوائق عارضة، و عوارض صارفة، ولكن تم تذليل جزء منها بواسطة تضافر الجهود بين نخبة من المحققين والنقاد وأبرز شاهد على ذلك العمل الموسوعي المتمثل في صحيح و ضعيف تاريخ الرسل و الملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

ومن أهم الاقتراحات التي يمكن تقديمها :

- إنشاء دائرة معارف تاريخية، تتولى مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، يشارك فيها نخبة من أساتذة متخصصين في التاريخ الإسلامي.
- عقد الأيام الدراسية والندوات الوطنية، والمليقيات الدولية من أجل تنقيح مصادر تاريخية أخرى على غرار كتب الطبقات و التراجم، وكتب الجغرافيا و الرحلات، وكتب التاريخ العام.
- تخصيص أعداد خاصة من مجلات علمية محكمة - على غرار مجلة الحقوق و العلوم الإنسانية بجلتها القشبية- لمقالات بحثية تعالج الصعوبات التي تعترض طريق مشروع إعادة تدوين التاريخ الإسلامي.

7 قائمة المراجع :

- أمحزون، محمد،(2011)، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، القاهرة: دار السلام.
- أمحزون، محمد،(2011)، منهج دراسة التاريخ الإسلامي، القاهرة: دار السلام.
- البرزنجي، محمد بن طاهر،(2007م)، صحيح وضعيف تاريخ الطبري، دمشق: دار ابن كثير.
- الجندي، أنور،(1998م)، الضربات التي وجهت للانقضاء على الأمة الإسلامية، دمشق: دار القلم.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(1967 م)، تاريخ الرسل و الملوك، ج01، الطبعة2، تحقيق محمد أبو الفضل، مصر: دار المعارف.
- مطبقاني، مازن،(2018م)، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، القاهرة: دار البشير.
- النملة، علي إبراهيم،(2008)، الاستشراق بين منحيين، الرياض: إصدارات المجلة العربية،.
- السلمي، محمد بن صامل،(2008)، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، الرياض: دار ابن الجوزي.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمان،(1986)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن العربي، أبو بكر،(2011)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، حققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب، بيروت: دار الكتب العلمية
- العمري، أكرم ضياء،(د.ت)، عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، الرياض: مكتبة العبيكان.
- العمري، أكرم ضياء،(1997)، منهج النقد عند المحدثين مقارنا بالمنهج النقدي الغربي، الرياض: مركز الدراسات والإعلام بدار اشبيليا.

- العمري، أكرم ضياء،(1983)، المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، المدينة المنورة :إصدارات الجامعة الإسلامية .
- العمري، أكرم ضياء،(1994)،السيرة النبوية الصحيحة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدثين، المدينة المنورة :مكتبة العلوم والحكم.
- عرجون، صادق إبراهيم،(1981)،عثمان بن عفان رضي الله عنه،الرياض: الدار السعودية.
- عرجون، محمد الصادق إبراهيم،(د.ت) ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة- بحث وتحقيق، دمشق :دار القلم .
- عرجون، محمد الصادق إبراهيم،(1967)،خالد بن الوليد رضي الله عنه، الطبعة الثانية،القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية.
- العش، يوسف،(1985)، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ، دمشق: دار الفكر.
- فروخ، عمر،(1980)،تجديد التاريخ في تعليقه وتدوينه، بيروت :دار الباحث.
- رستم، أسد،(2015)، مصطلح التاريخ، الجيزة :مركز تراث للبحوث والدراسات، الجيزة .
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمان،(2004)، المقدمة، ج01، تحقيق عبد الله محمد درويش، دمشق :دار يعرب.
- خليل، عماد الدين،(2005)،حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دمشق :دار ابن كثير.
- خليل، عماد الدين،(1981)، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت :دار العلم للملايين.
- خليل عماد الدين،(2013)، مدخل إلى التاريخ الإسلامي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- أبو خليل،شوقي،(1997)، في التاريخ الإسلامي،بيروت: دار الفكر المعاصر.
- ذي نون ،عبد الواحد طه،(2011)، مصادر في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: المدار الإسلامي.
- غبان ،محمد بن عبد الله الصبحي،(2003)،فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه،، المدينة المنورة : إصدارات عمادة الجامعة الإسلامية.